

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِنِعْمِهِ عَلَيْهِمْ وَمَا خَصَّصَهُمْ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْتَفْضِيلِ عَلَى عَالَمِي زَمَانِهِمْ، وَكَانَتْ الْمَخَالَفَةُ مَعَ عَظِيمِ الْمِنَّةِ أَفْحَشَ وَأَقْبَحَ، وَلَا سِيَّما وَأَنَّهُمْ تَوَهَّمُوا مِنْ تَفْضِيلِهِمْ تَفْضِيلًا ذَاتِيًّا، وَأَنَّ الْإِخْلَالَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ لَا يَضُرُّهُمْ؛ أَعْقَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَحْذِيرِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (1).

✽ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

- (1) ﴿تَجْزِي﴾: الْجِيمُ وَالزَّايُ وَالْيَاءُ تُدُلُّ اشْتِقَاقَاتُهَا عَلَى قِيَامِ شَيْءٍ مَقَامَ غَيْرِهِ وَمُكَافَأَتِهِ إِيَّاهُ⁽²⁾، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَزَى عَنِّي هَذَا الْأَمْرَ، أَي: قَضَاهُ⁽³⁾، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أَي: لَا تَقْضِي وَلَا تُغْنِي.
- (2) ﴿شَفَعَةٌ﴾: أَصْلُ الْكَلِمَةِ مِنَ الشَّفْعِ، وَهُوَ: ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ⁽⁴⁾، وَقَوْلُهُمْ: نَاقَةُ شَافِعٍ؛ وَهِيَ الَّتِي فِي بَطْنِهَا وَلَدٌ وَيَتْبَعُهَا آخَرُ⁽⁵⁾، يُقَالُ: شَفَعَ إِلَى فُلَانٍ فِي أَمْرٍ مَا شَفَاعَةً؛ إِذَا طَلَبَ إِلَيْهِ قَضَاءَ حَاجَةٍ لِأَخْرَيْنَ. وَتُطْلَقُ الشَّفَاعَةُ عَلَى الْإِعَانَةِ وَالتَّقْوِيَةِ. وَالشَّفَاعَةُ: مُعَاوَنَةُ طَالِبِ الْحَاجَةِ لِجَلْبِ مَنَفَعَةٍ لَهُ، أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ عَنْهُ عِنْدَ مَنْ يَمْلِكُ الْحَاجَةَ⁽⁶⁾، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾.

- (3) ﴿عَدْلٌ﴾: الْعَيْنُ وَالذَّالُّ وَاللَّامُ تُدُلُّ أَكْثَرَ اشْتِقَاقَاتِهَا عَلَى مُوَازَنَةِ شَيْءٍ فِي جَانِبٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 1/346، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/484.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جزي).

(3) الجوهري، الصحاح: (جزي).

(4) الزاغبي، المفردات: (شفع).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شفع)، والجوهري، الصحاح: (شفع).

(6) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (شفع).

بشيءٍ في جانبٍ آخَرَ حَتَّى يَتَزَنَّا⁽¹⁾، ومنه العَدْلُ في القضاء، وهو ضِدُّ الجَوْرِ⁽²⁾؛ لَأَنَّ فيه اتِّزانًا في إعمالِ البَيِّنَاتِ، ومنه أيضًا: العَدْلُ بمعنَى المِثْلِ، والعَدْلُ: القِيَمَةُ⁽³⁾.
وَيَرِدُ العَدْلُ بمعنَى الفِدْيَةِ⁽⁴⁾، ومنه قولُ الله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾؛ وَسُمِّيَتْ الفِدْيَةُ عِدْلًا؛ لِأَنَّهَا تَوَازَنُ الْمُفْتَدَى فِي القِيَمَةِ⁽⁵⁾.

(4) ﴿يُنْصَرُونَ﴾: تَدَوَّرُ مَادَّةُ النُّونِ وَالصَّادِ وَالرَّاءِ حَوْلَ مَعْنَى إِيْتَابِ خَيْرٍ وَإِيْتَائِهِ بِمَا فِيهِ زِيَادَةُ مَنَاسِبَةٍ وَقُوَّةٍ، وَلَا زِمُهُ: دَفَعَ الضَّرَّ⁽⁶⁾، ومنه سُمِّيَ المَطَرُ نَصْرًا⁽⁷⁾، والنَّصْرُ عَلَى العَدُوِّ: إِعَانَةُ الخصمِ عَلَيْهِ فِي حَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا؛ بِقُوَّةِ النَّاصِرِ وَغَلَبَتِهِ⁽⁸⁾.
وقولُ الله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ بمعنَى: لَا يُدْفَعُ عَنْهُمْ المَكْرُوهُ⁽⁹⁾.

❖ الْمَعْنَى الإِجْمَالِي:

وَخَافُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَذَابِهِ وَقَايَةً؛ وَذَلِكَ بِامْتِنَالِ خُطَابِ الشَّرْعِ، فِعْلًا لِلْمَأْمُورِ وَتَرْكًا لِلْمَحْظُورِ؛ ذَلِكَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُغْنِي فِيهِ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى شَفَاعَةً فِي الْكَافِرِينَ مُطْلَقًا، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدَاءً وَلَوْ عَظُمَ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ أَحَدٌ نَصْرًا وَإِنْقَاذًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى⁽¹⁰⁾.

❖ الإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾ بَيْنَ الإِيْجَازِ بِالحَذْفِ وَالمَجَازِ المُرْسَلِ:
قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾ إِمَّا أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الإِيْجَازِ بِالحَذْفِ، وَالتَّقْدِيرُ: اتَّقُوا عَذَابَ يَوْمٍ وَأَهْوَالَهُ، وَالقَرِينَةُ: أَنَّ ﴿يَوْمًا﴾

الْأَمْرُ بِاتَّقَاءِ
أَهْوَالِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ حَتَّى
كَأَنَّ الْيَوْمَ نَفْسَهُ
يُبْقَى

(1) جبل، للعجم الاشتقاقِيّ لِلْوَصْلِ: (عدل).

(2) الخليل، العين: (عدل).

(3) الأزهرِيّ، تهذيب اللُّغة: (عدل).

(4) الجوهريّ، الصَّحاح: (عدل).

(5) جبل، للعجم الاشتقاقِيّ لِلْوَصْلِ: (عدل).

(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نصر)، والبيضاويّ، أنوار التَّنْزِيلِ: 1/79، وجبل، للعجم الاشتقاقِيّ لِلْوَصْلِ: (نصر).

(7) الزَّمَخْشَرِيّ، أساس البلاغة: (نصر).

(8) الفَيَّوْمِيّ، المصباح النير: (نصر)، وابن عاشور، التَّحْزِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 1/486.

(9) السَّعْدِيّ، تيسير الكريم الرِّحْمَن، ص: 51.

(10) أَبُو الْمُظَفَّر السَّمْعَانِيّ، تفسير القرآن: 75-76/1، والخازن، لباب التَّأْوِيلِ: 1/43، ومُجِير الدِّبْنِ الغَلِيمِيّ، فتح الرحمن: 1/96، ونخبة

من العلماء، التَّفْسِيرُ الْمُبَشِّر، ص: 7.

إِذَا أُعْرِبَ مَفْعُولًا بِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ مَحذُوفٍ لَزِمَ أَنْ يَكُونُوا مَأْمُورِينَ
بِاتِّقَاءِ نَفْسِ الْيَوْمِ! وَلَيْسَ مَرَادًا قَطْعًا.

وَلَا يَصَحُّ إِعْرَابُهُ ظَرْفًا؛ لِاِقْتِضَائِهِ الْأَمَرَ بِالتَّقْوَى فِيهِ، وَهُوَ لَيْسَ
مَحَلًّا لِذَلِكَ⁽¹⁾.

وَيَجُوزُ أَنْ لَا يُقَدَّرَ مَحذُوفٌ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ
الْمُرْسَلِ؛ مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ الزَّمَانِ عَلَى مَا يَقَعُ فِيهِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ يُرَادُ بِهِ: اتَّقَوْهُ مِنْ جِهَةٍ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْأَهْوَالِ⁽²⁾.

نَكْتَةُ تَنْكِيرِ ﴿يَوْمًا﴾:

نَكَّرْتُ كَلِمَةَ ﴿يَوْمًا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾؛ لِقَصْدِ
التَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ فِي التَّنْكِيرِ إِبْهَامًا يُوجِدُ رَهْبَةً؛ إِذْ
تَذْهَبُ مَعَهُ النَّفْسُ مَذَاهِبَ شَتَّى فِي تَصَوُّرِ عَذَابِهِ وَهَوْلِهِ، وَتَنْتَهِي إِلَى
أَنَّهُ لَا يَحُدُّ عَذَابَهُ وَصَفٌ، وَلَا هَوْلُهُ ذِكْرٌ⁽³⁾.

سِرُّ تَنْكِيرِ ﴿نَفْسٍ﴾ وَ﴿شَيْئًا﴾:

تَنْكِيرُ كَلِمَتِي ﴿نَفْسٍ﴾ وَ﴿شَيْئًا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْزِي
نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ لِإِرَادَةِ التَّعْمِيمِ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ
النَّفْيِ فَيُعْمَمُ، وَفِي هَذَا التَّعْمِيمِ إِقْنَانُ كُلِّيِّ بِنَفْيِ الْجَزَاءِ وَالْإِغْنَاءِ مِنَ
الْجِهَاتِ كُلِّهَا⁽⁴⁾، فَلَا يُغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ كَاتِنًا مَنْ كَانَ، فَلَا يُغْنِي عَنْ
الْكَفَّارِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا غَيْرُهُمْ بِأَنْ يَحْوُلُوا
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى⁽⁵⁾.

الْقِيَامَةُ لَا يَحُدُّ
عَذَابَهَا وَصَفٌ
وَلَا هَوْلُهَا رَصَفٌ

تَقْنِيْطُ الْإِلَه
تَعَالَى لِلْكَفَّارِ
بِنَفْيِ الْجَزَاءِ
وَالْإِغْنَاءِ عَنْهُمْ
مِنْ كُلِّ أَحَدٍ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/109.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/484.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 1/223.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/99.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/485.

بلدعة الاستتباع:

في نفي جزاء أحد عن أحد، ونفي قبول الشفاعة وأخذ العدل منه: تبيس لحصول أي نفع للكفار يوم القيامة، وذلك يستتبع⁽¹⁾ تحقير من توهمهم المشركون شفعاء، وإبطال ما كانوا يزعمونه مغنيا عنهم من عذاب الله تعالى وغضبه من القرايين التي قربوها⁽²⁾.

هــوان ما
توهمهم
المشركون
شفعاء

توجيه المتشابه اللفظي:

ورد هنا قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، وفي الموضع الثاني من هذه السورة قال الله سبحانه: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: 123]، فقدّمت الشفاعة وأخر العدل في الآية الأولى، وعكس ذلك في الآية الثانية، وتوجيهه أن يقال:

اختلاف أحوال
الناس في
تفضيل المال أو
الرياسة

إن الأمر باختلاف أحوال الناس في الشفاعة والعدل - وهو الفدية -، فمن غلب عليه حب الرياسة قدّم الشفاعة على الفدية، ومن غلب عليه حب المال قدّم الفدية على الشفاعة⁽³⁾، والناس في الدنيا يتفاوتون في هذا المقدار، ويتباينون في التقدير، فأتت الآيتان لدفع ذلك كله.

وأسند القبول إلى الشفاعة فقدّمت على العدل - في الآية الأولى -؛ لأنّ القبول المسند إليها منفي، ونفي الشفاعة لا يستلزم نفي أخذ الفداء، فذكر نفي أخذ الفداء بعده يراد به الاحتراش⁽⁴⁾. وأما الآية الثانية فأسند القبول إلى الفداء وقدّم على

لا يستلزم
نفي واحد من
الشفاعة أو
الفداء نفي الآخر

(1) الاستتباع: أن يؤتى بالكلام لغرض ما، كمدح أو ذم، على وجه يستتبع الدخ أو الذم بشيء آخر، وهكذا سائر الأغراض.

ينظر: ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص: 443، وعبد الرحمن حنكة، البلاغة العربية: 2/429.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/486.

(3) ابن الزبير، ملاك التأويل، ص: 33.

(4) الاحتراش: أن يؤتى بكلام في سياق مدح أو غيره، فيظن عيب من جهة منطوقه أو فحواه، فيزدف بكلام آخر؛ لصيانيته عن الخطأ.

ينظر: بدر الدين بن مالك، المصباح في علم المعاني، ص: 97.

الشِّفَاعَة، ولَمَّا كَانَ نَفْيُ قَبُولِ الْفِدَاءِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ نَفْعِ الشِّفَاعَةِ؛ ذُكِرَ نَفْيُ نَفْعِهَا عَقِبَهُ لِلْإِحْتِرَاسِ أَيْضًا⁽¹⁾.

وَبَدِئَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى بِالشِّفَاعَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَلْيَقُ بِعُلُوِّ النَّفْسِ، وَذُكِرَ مَعَ الشِّفَاعَةِ الْقَبُولُ هَهُنَا، وَالنَّفْعُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى انْتِفَاءِ أَصْلِ الشَّيْءِ، وَانْتِفَاءِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ⁽²⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْأَسْمِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

جَمَلَةٌ: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أَسْمِيَّةٌ، وَهِيَ مُفِيدَةُ الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ؛ وَالْمُرَادُ دَوَامُ نَفْيِ النُّصْرَةِ عَنْهُمْ لَا نَفْيَ دَوَامِهِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ -وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ- مُفِيدُ الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ بِحَسَبِ الْمَقَامِ.

فَائِدَةُ مَجِيءِ الْخَبَرِ جُمْلَةً فِعْلِيَّةً:

مَجِيءُ خَبَرِ الْمُبْتَدَأِ ﴿هُمْ﴾ جُمْلَةً فِعْلِيَّةً -﴿هُمْ يُنصَرُونَ﴾- يَقْتَضِي تَكَرَّرَ الْإِسْنَادِ؛ تَأْكِيدًا لِدَوَامِ نَفْيِ النَّصْرِ عَنِ الْكُفَّارِ؛ فَقَدْ أُسْنِدَ النَّصْرُ إِلَى الضَّمِيرِ (هُمْ) -وَهُوَ مِنْ إِسْنَادِ الْخَبَرِ إِلَى الْمُبْتَدَأِ-، وَأُسْنِدَ النَّصْرُ أَيْضًا إِلَى وَائِ الْجَمَاعَةِ، وَهُوَ مِنْ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى فَاعِلِهِ، فَلَمَّا تَكَرَّرَ الْإِسْنَادُ تَأَكَّدَ الْمَعْنَى وَقَوِيَ.

تَأْكِيدُ الْمَعْنَى
الْقُرْآنِيَّةُ تَرْسِيخٌ
لَهَا فِي الْأَذْهَانِ

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 1/698.

(2) ابن الزُّبَيْرِ، مَلَكَ التَّأْوِيلَ، ص: 33.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، للجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 1، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-52-1

يشتمل على إرجاعات ببلوغرافية.

مج. 1: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغامي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-52-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»